المحاضرة الخامسة

الدراسات السابقة:

- تعريف الدراسات السابقة:

يقصد بها الدراسات و الأبحاث المستخدمة و المشار إليها في الرسالة أو الأطروحة سواء وردت في مقدمة البحث وإشكاليته، أو في التراث الأدبي ،أو في الجانب الميداني، أو في مناقشة النتائج .و التي تم نشرها بأي شكل من الأشكال.

تعتبر الدراسات السابقة أيضا واحدة من أهم خطوات البحث العلمي والتي يجب أن يوليها الباحث اهتماما خاصا لقيمتها العلمية في تدعيم المشكلة البحثية، وتشير الدراسات السابقة حسب المهتمين بالبحث العلمي إلى أنها" التي سبق أن أجراها باحثون آخرون في هذا الموضوع أو الموضوعات المشابهة " وبتعبير آخر"الدراسات التي درست نفس المجال الخاص بالمشكلة التي يقوم بدراستها الباحث ،بحيث تمثل بالنسبة للمشكلة المطروحة قاعدة معرفية أولية لها ،و تمثل نتائج المشكلة المطروحة إضافة مباشرة إلي نتائج الدراسات السابقة . " و تشمل الدراسات السابقة كل الدراسات المتصلة بالموضوع، مما تم نشرها بأي شكل من الأشكال، بشرط أن تكون المساهمة ذات قيمة علمية. وقد يكون النشر بالطباعة أو بواسطة المحاضرات أو الأحاديث المذاعة ... أو تم تقديمها لمؤسسة علمية للحصول على درجة علمية أو على مقابل مادي أو مجرد الرغبة في المساهمة العلمية[3] .

-استطلاع الدراسات السابقة:

تُعدُّ هذه الخطوة بدايةَ مرحلةٍ جديدة من مراحل البحث يمكن أن يُطْلَقَ عليها وعلى لاحقتها الإطارُ النظريُّ للبحث أو للدراسة وهي المرحلة الثالثة، فبعد الخطوات الإجرائيَّة السابقة اتِّضحت جوانبُ الدراسة أو البحث فتبيَّنت الطريق للباحث وعرف طبيعة البيانات والمعلومات والحقائق التي ستحتاجها دراسته أو بحثه، وبما أنَّ البحوث والدراسات العلميَّة متشابكة ويكمل بعضُها البعضَ الآخر ويفيد في دراساتٍ لاحقة. ويتضمَّن استطلاع الدراسات السابقة مناقشة وتلخيص الأفكار الهامَّة الواردة فيها، وأهميَّة ذلك تتَّضح من عدة نواحٍ هي:

- توضيح وشرح خلفيَّة موضوع الدراسة.

- وضع الدراسة في الإطار الصحيح وفي الموقع المناسب بالنسبة للدراسات والبحوث الأخرى، وبيان ما ستضيفه إلى التراث الثقافيِّ.

- تجنُّب الأخطاء والمشكلات التي وقع بها الباحثون السابقون واعترضت دراساتهم.

– عدم التكرار غير المفيد وعدم إضاعة الجهود في دراسة موضوعات بحثت درست بشكلٍ جيِّد في دراسات سابقة.

فمن مستلزمات الخطَّة العمليَّة للدراسة دراسةُ الموضوعات التي لها علاقة بموضوع الباحث، لذلك فعليه القيام بمسحٍ لتلك الموضوعات؛ لأنَّ ذلك سيعطيه فكرة عن مدى إمكانيَّة القيام ببحثه، ويثري فكره ويوسِّع مداركه وأفقَه، ويكشف بصورة واضحة عمَّا كتب حول موضوعه، والباحث حين يقوم بمسحه للدراسات السابقة عليه أن يركِّز على جوانب تتطلَّبها الجوانبُ الإجرائيَّة في دراسته أو بحثه، وهي:

– أن يحصرَ عدد الأبحاث التي عملت من قبل حول موضوع دراسته.

– أن يوضِّحَ جوانب القوة والضعف في الموضوعات ذات العلاقة بموضوع دراسته.

– أن يبينَ الاتجاهات البحثيَّة المناسبة لمشكلة بحثه كما تظهر من عمليَّة المسح والتقويم[4].

– مبررات الإشارة إلى الدراسات السابقة:

يغفل الكثير من الطلبة الباحثين أهمية الدراسات السابقة عند انجاز بحوثهم. و تقديرهم الخاطئ بان هذا العنصر هو من الأمور الشكلية التي يمكن تجاوزها، أو ذكرها بشكل مختصر وعارض . وهذا الاعتقاد ناجم عن عدم درايتهم بدواعي وجود الدراسات السابقة ضمن مكونات البحث.

و من هذه الدواع أو المبررات نذكر:

معرفة الفراغات أو الجوانب التي لم يسّبق تناولها أو مناقشتها من قبل الباحثو نّ الآخرونّ.أو ما يسّمى بالفجوة المعرفةّ gap of knowledge.

تزويد الباحث بأفكار و مقاربات جديدة.

قاعدة انطلاقة لأي دراسة علمية سواء كانت نظرية أو تطبيقية و في مختلف التخصصات .

– أنها من المدعمات الأساسية للتفكير و تحديد موضوع البحث و اشكاليته بشكل دقيق.

– البحث عن طرق جديدة في دراسة البحث الجاري .

– الاستفادة من المنهجية العامة المستخدمة.

– أنها مصدر من مصادر التراث الأدبي للإشكالية المبحوث فيها .

– تسهل على الطالب الباحث الأساليب السهلة و الدقيقة لتوجيهه للإطلاع على ما يفيده حول ما كتب حول بحثها لأمر الذي يؤهله في نهاية المطاف من معرفة المتغيرات المدروسة المطابقة أو المشابهة لمشروع بحثه.

– مقاربة المنهج و الأدوات المساعدة لمعرفة و قياس هذه المتغيرات.
– كما تساعده عن تحديد المفاهيم الأساسية للبحث و تعريفها إجرائيا.
– إضافة إلى صياغة تساؤلاته أو فرضياته .
و في هذا السياق يرى البعض أن استعراض أدبيات البحث يستند على ثلاثة افتراضات رئيسية هي:
– لا ينطلق أي بحث من الصفر.
– يوجد العديد من المقالات حول كل موضوعات البحث تقريبا.
– لست أنت أول باحث في ميدان دراستك[5].

–شروط اختيار الدراسات السابقة:

–تتعدد وتتنوع شروط اختيار الدراسات السابقة، ومن أبرز هذه الشروط أن يستمد الباحث الدراسات السابقة من المصادر الأولية الأصلية، ويتجنب المصادر الثانوية.

يجب على الباحث أن يقوم بأخذ الدراسات السابقة التي تتعلق ببحثه العلمي من المجلات العلمية المحكمة، والمصادر العلمية الموثوقة.

يجب أن يمتلك الباحث القدرة والمهارة على اختيار الدراسات السابقة التي ترتبط وتتعلق بالبحث العلمي الذي يقوم به، وذلك لأن اطلاعه على مصادر غير مرتبطة ببحثه العلمي سيؤدي إلى ضياع جهده ووقته.

وتعد طريقة عرض الدراسات السابقة من أهم الشروط التي يجب على الباحث الالتزام بها، ويجب أن يحرص على أن يقوم بعرض الدراسات السابقة بلغة سليمة، أسلوب جذاب يجعل الباحث مندفعا لقراءة البحث العلمي.

تتعدد شروط الدراسات السابقة ومنها أن يقوم الباحث بالإطلاع على الدراسات السابقة من خلال المصادر الأولية فقط.

يجب على الباحث أن يقوم بالتأكد من صحة المعلومات الموجودة في الدراسات السابقة، وبأن هذه المعلومات أثبتت صحتها.

لا يجب أن يتوسع الباحث في عرض الدراسات السابقة، بل عليه اللجوء للاختصار قدر الإمكان والاكتفاء بذكر الأفكار الرئيسية فقط لا غير.

كما يجب على الباحث أن يقوم بتقديم لمحة تعريفية عن صاحب الدراسة السابقة، وعن العصر الذي عاش فيه، وعن الأدوات التي كانت متوفرة في ذلك العصر.

يجب على الباحث أن يركز على مضمون الدراسات السابقة التي يعود إليها، فليس الهدف جمع عدد كبير من الدراسات السابقة، وأن تكون معظم هذه الدراسات لا تناسب البحث العلمي.

تعد الموضوعية والحياد من أهم الأمور التي يجب على الباحث أن يلتزم بها، فلا يجب عليه أن يكتفي

بعرض الدراسات التي تتناسب مع أفكاره، بل عليه عرض كافة الدراسات السابقة المرتبطة بالبحث، وحتى لو خالفت أفكاره[6].

- الأجزاء الأساسية الواجب إبرازها في عرض الدراسات السابقة
- ذكر اسم أو أسماء الباحثين.
- الإشارة إلى مكان و زمان إجراء الدراسة.
- تحديد العنوان أو الهدف الرئيس من إجرائها.
- حجم العينة و خصائصها.
- أدوات جمع المعلومات في هذه الدراسة .و يفضل ذكر خصائصها السيكوميترية.
- النتائج العامة المتحصل عليها.
- **موقع الدراسات السابقة في كتابة البحث .**

لا يوجد اتفاق نهائي بين المهتمين حول القواعد المنهجية لكتابة رسائل التخرج عن مكان أوموقع محدد للدراسات السابقة، في المقابل توجد بعض المقاربات المنهجية و هي:

أ-المقاربة الأولى:

يرى أصحاب هذه المقاربة أنها توضع ضمن العناصر الأساسية المكونة لفصل الأول الخاص بطرح أو عرض إشكالية الدراسة.

ب-المقاربة الثانية:

و تتمثل في كتابة فصل خاص بعنوان الدراسات السابقة . و لكن يشترط أصحاب هذه المقاربة وجود عدة دراسات سابقة حول متغيرات البحث صادفت الباحث عند قراءاته المتعددة للأدبيات.

ج-المقاربة الثالثة:

يرى أنصار هذه المقاربة أنه يمكن ذكر و توزيع هذه الدراسات في مقدمة و إشكالية البحث و في متن فصول التراث الأدبي و فصول الجانب التطبيقي، خاصة في عرض النتائج و تفسيرها،و في حالة المقاربة الأولى و الثانية هناك قواعد منهجية لابد من مراعاتها في كتابة و عرض الدراسات السابقة في التقرير العلمي النهائي و هي:

*الابتداء بالدراسات المطابقة للموضوع المدروس ,و نعني بالمطابقة أن هناك مطابقة بين المتغيرات المستهدفة بالبحث والمتغيرات في الدراسات السابقة.

و في حالة تعذر حصول الباحث على هذه الدراسات المطابقة فإنه يبحث عن الدراسات المشابهة و يفضل أن يكون التشابه بداية بين أكبر عدد من متغيرات بحثه و متغيرات الدراسات السابقة.

*ترتب الدراسات السابقة في كل الحالات ترتيبا كرونولوجيا- زمنيا-(تنازليا أو تصاعديا .)

*البداية بالدراسات المحلية ثم الدراسات الإقليمية و العربية ثم الدراسات الأجنبية .

*الابتعاد قدر الإمكان عن التفصيل في عرض هذه الدراسات و الاكتفاء بالأجزاء الأساسية السابقة عند العرض.

– و عدد(كمية) الدراسات السابقة يعتمد بالأساس على طبيعة الإشكالية المدروسة و الأهداف التي رسمها الباحث لنفسه. و عند الكثرة ينصح بأخذ الأحدث منها.

– توظيف الدراسات السابقة وكيفية الاستفادة منها.

–التوظيف هو الاستخدام المنهجي السليم و المنظم للدراسات السابقة في أجزاء الرسالة أو الأطروحة .

و هذا التوظيف يكون حسب موقع عرض الدراسات السابقة في البحث.

ففي حالة المقاربة الأولى و الثانية ينصح بما يلي:

– يتبع العرض بموقع البحث الحالي ببن هذه الدراسات ، مع توضيح الآتي:

– نقاط التشابه و الاختلاف بين البحث الحالي و الدراسات السابقة من حيث:

المنهج المستخدم

الهدف أو الأهداف.

التساؤلات و/أو الفرضيات.

مجتمع الدراسة و طبيعة العينة المدروسة و حجمها.

–الأدوات المستخدمة

طرق تحليل البيانات.

و في حالة المقاربة الثالثة السالفة الذكر فإن توظيف الدراسات السابقة يتم بالشكل الآتي:

– تدعيم مقدمة و عرض الإشكالية و في الفصول المتعلقة بالتراث الأدبي للبحث بمعلومات عن اسم الباحث أو الباحثين و سنة و مكان انجاز الدراسة و على من أجريت و النتيجة العامة أو الهامة المتحصل عليها.

و هذا الاختصار هو لتجنب التفصيلات لهذه الدراسات على حساب بقية مكونات المقدمة و طرح إشكالية البحث.

–و توظف نتائج الدراسات السابقة العامة و الجزئية عند عرض و تفسير نتائج البحث من خلال تشابهها أو تقاربها أو ابتعادها و مخالفتها مع هذه النتائج العامة أو الخاصة المتحصل عليها من البحث.

–و نشير هنا إلى نقطة هامة وهي أن الإشارة إلى مقارنة النتائج المتحصل عليها في البحث مع نتائج الدراسات السابقة ليست تفسيرا في حد ذاته بل هي عناصر كمية أو كيفية مساعدة على التفسير.

و نخلص من هذا العرض أن الدراسات السابقة ليست مجرد عنصر شكلي يضاف أويشار إليه في البحث بقدر ما هي نقطة انطلاقة ضمن عملية مراجعة أدبيات البحث العلمي تستمد وجودها في متن البحث من ضروريات التراكم المعرفي ، و من مبررات منهجية في إبرازها و توظيفها للاستفادة منها.[7]

يطرح الباحث أسئلة يبحث عن إجاباتها في الدراسات السابقة أهمها:

* ما هي الدراسات البارزة ذات العلاقة بموضوع البحث؟

عند استعراض الباحث للدراسات السابقة يجب أن يقتصر على الدراسات البارزة، ذات العلاقة المباشرة بموضوع دراسته، ويجب أن يكون معيار البروز هنا كون الدراسة السابقة أفردت الموضوع بعمل مستقل ثم التي أفردت له فصلاً، ثم تلك التي أفردت له مبحثًا مستقلاً، أو مطلبًا، ويلاحظ أن أمر درجة العلاقة والبروز نسبي، يترك لتقدير الباحث، أما الفقرات والإشارات غير البارزة التي ظهرت عرضًا في دراسات ليست وثيقة الصلة بموضوع البحث، والمعلومات التي صلتها ليست وثيقة، فهي تندرج ضمن المادة العلمية التي سوف يؤلف منها الباحث صلب بحثه، وتظهر مساهمة الباحث هنا في المجهود الذي يلم به الباحث مادة متفرقة أو متناثرة في مراجع عديدة، أو توضيح قضية غامضة أو استنتاج جديد، ويجب عند عرض الباحث للدراسات السابقة أن يراعي ترابط فقرات الدراسات السابقة بشكل متسق ومنطقي.

* كيف تناولت الدراسات السابقة نقطة الارتكاز المحورية والعناصر الأساسية التي يتكون منها موضوع دراسة الباحث.

* ما هي النقطة التي يبدأ منها الباحث دراسته الحالية انتقالاً من الدراسات السابقة؟

يجب أن يوضح الباحث كيف قادته الدراسات السابقة إلى النقطة التي سيبدأ منها دراسته المقترحة، وكيف تعتبر النقطة المحورية في دراساته امتدادا لنتائج الدراسات السابقة.

* كيف يبرهن الباحث على أهمية البحث انطلاقًا من الدراسات السابقة

عند البرهنة على أهمية البحث المقترح وجدوى تنفيذه، يلزم الباحث أن يتأكد من عدم تطرق الدراسات السابقة للمشكلة من الزاوية نفسها، وبالمنهج نفسه، أو التأكد من وجود قصور من حيث المضمون أو المنهج، يستوجب إعادة البحث أو مزيد من الجهود البحثية، فالقصور في المنهج قد يؤدي إلى نتائج خاطئة، والقصور في المضمون، يعني وجود جوانب للموضوع لا تزال في حاجة إلى البحث للإضافة.

* كيف يحقق البحث المقترح تراكمية المعرفة في مجال التخصص.

يجب على الباحث بيان موقع البحث المقترح من الجهود السابقة في مجال البحث، وإيضاح نوع المساهمة التي تقدمها الدراسة المقترحة في هذا المجال، وذلك لتحقيق مبدأ تراكمية المعرفة في التخصص المحدد رغم اختلاف المصادر التي تسهم بالبحث فيه وتعددها.

* ما هي الأفكار التي تزود بها الدراسات السابقة موضوع البحث من زاوية المنهج، وماهي الإيجابيات والسلبيات في هذا المنهج؟

يجب على الباحث أن يبين الأفكار الجزئية والكاملة التي زودت الدراسات السابقة بها الباحث عن المنهج المناسب لإجراء دراسته، وما هي إيجابيات وسلبيات المناهج التي استعانت بها هذه الدراسات ليستفيد منها، وما هي سلبيات هذه المناهج ليتجنبها.

ما الذي أفادته الدراسات السابقة للبحث المقترح من زاوية أدوات البحث وغير ذلك؟

* يجب على الباحث بيان ما أفادته به هذه الدراسات من أدوات؛ مثل: المعايير أو المقاييس، أو فقرات مكونات الاستبانة التي يحتاجها، أو التعريفات الاصطلاحية والإجرائية، أو برامج الحاسب الآلي المناسبة لتحليل المادة العلمية، أو الأجهزة اللازمة للبحث، أو التقسيمات الرئيسة لموضوعات البحث، وهي إن لم تزوده ببعض هذه الوسائل فقد تزوده بأفكار لتصميم ما يناسب بحثه من الوسائل.

-ما هي المصادر العلمية التي لفتت الدراسات السابقة الباحث إليها، ولم يكن يعرفها[8] .